جماهيرنا بحر وفدائيونا حيتان

كان ذلك في نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٩ ، عندما تلقيت الدعوة للتحدث في ندوة عن « الشرق الأوسط » أمام جمهرة من أساتذة وطلبة جامعة هارفرد في بوسطن . وكان الموضوع المحدد لي يتناول « المفهوم الفلسطيني للسلام » ؛ أي ، بعبارة أخرى ، شرح موقف منظمة التحرير الفلسطينية الرافض لاتفاقيتي كامب ديفيد اللتين كانت وسائل الاعلام الامبريالية قد صورتهما كأضخم إنجاز للسياسة الأميركية في التمهيد لسلام دائم في المنطقة .

وليس الهدف من هذا الحديث تسجيل ما جرى من حوار في تلك الندوة ، على أهمية ذلك ، وإنما التعرض لنقطة واحدة بالذات أثارها أستاذ بولوني الأصل ، جمعته مع بيرجينسكي وحدة النشأة وزمالة المهنة ، وفرقته عنه خلفيته السياسية وتطلعاته المستقبلية .

فبعد أن شهدت الندوة هجمة ضارية من الأسئلة والتعليقات حول عملياتنا الفدائية التي يصرون على تسميتها بـ « الارهاب » ، وقف هذا الأستاذ العميق الفهم لتجارب الشعوب النضالية ، ليشير إلى نقطته مع حرص ذكي على طرحها على شكل سؤال .

وكان آخر من تحدث قبله ، زميل له ، هو الدكتور ستانلي هوفمان ، أحد كبار المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط ، وأحد الطامحين الى منصب في الادارة الأميركية ومن خصوم هنري كيسنجر . قال هوفمان متسائلاً ، بعد مقدمة أظهر فيها بعض التعاطف مع مطالب شعب فلسطين :

« ولكن ألا تشعر معنا هنا ، بأن العمليات الحربية التي تقومون بها ، ويذهب ضحية لها عدد من الأبرياء تسيء إلى نضالكم وتبتعد بكم عن عطف وتأييد الرأي العام لكم ؟ » .

ومما رددت به عليه :

« الحرب ، كل الحرب ، هي في حقيقتها فعل إرهاب . ومشكلتنا كشعب فقير أن وسائلنا بدائية وبسيطة . ومن المؤسف أن يبدو لنا القتال بالسكين ، مثلاً ، كعمل إرهابي بربري ، بينما قصف الناس بالقنابل المتنوعة من طائرات تكاد لا ترى ، يبدو عملاً حربياً ومقبولاً ! » .